DÜZCE ÜNİVERSİTESİ
İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ
Cilt: I, Sayı: 2, 2017
Sayfa:58-75

مهارة الاستماع (الاستيعاب_ التفاعل الشفوي_ الإنتاج الشفوي) بعض المشكلات وحلول مقترحة

Tharaa Shamıa* **(ثراء شامية)**

ملخص البحث

تُعَدُّ مهارة الاستماع المدخل الرئيسي لتعلم اللغة سواء أكانت اللغة الأم أم اللغة الأجنبية الثانية، وفي هذه الدراسة حاولتُ الإشارة إلى نقطة واحدة ترتبط بعملية تدريس مهارة الاستماع التي تتم داخل الحجرة الدرسية لطلاب جامعة دوزجة التركية كلية الإلهيات، وهم أفراد العيّنة المقترحة لتطبيق الكلام النظري تطبيقًا عمليًا، كانت تلك النقطة هي مشكلةَ المتعلمين في فهم المسموع في تعلّم اللغة العربية عند الطلاب الأجانب عامةً والأتراك على وجه الخصوص؛ الأسباب والحلول. بدأتُ بتحديد مسبِّبات المشكلة، من طرف المتعلم ومن طرف المعلم ومن طرف المنهج المقرر في العملية التعليمية، وأهم ما أفاد من تحديد هذه الأسباب هو الاستنتاج بأن إخفاق تدريس مهارة الاستماع لا تعود كل أسبابه إلى المتعلم وحده، بل هناك مسبِّبات أخرى قد تزيد في حجم المشكلة ولا تؤدي إلى نتائج مقبولة. تضمّنت الدراسة نماذج تطبيقية تحوي الخطأ المسبِّب للمشكلة وطريقة تلافيه، ثم بعض التوصيات والمقترحات التي تساعد على تحسين مستوى درس الاستماع ليساعد هو أيضًا على تحسين أداء الطالب، والرفع من مستواه التعليمي. ما تفاصيل المشكلة؟ وما نتائجها؟ وما الحلول المقترحة؟ كل هذا ستتناوله الصفحات اللاحقة بشيء من التفصيل.

الكلمات المفتاحية: مهارة الاستماع، التفاعل الشفوي والإنتاج الشفوي، مشكلاتٌ وحلول

Abstract

The listening skill is the main entrance to learn a language, if it is the mother language or the second foreign language. In this study, I tried to point to one point related to the process of teaching the listening skills within the study room of the students of Turkish Düzce University, That point was the problem of learners in understanding the audio in the learning process of Arabic when foreign students in general and Turks in particular; the causes and solutions. The main reason for determining these reasons is the conclusion that the failure to teach the listening skills is not the only reasons for the learner, but there are other causes that may increase the size of the problem and do not lead to acceptable results. The study included application models containing the error causing the problem and how to avoid it, and then some recommendations and suggestions that help to improve the level of the listening lesson, which also helps to improve the performance of the students, and raise the level of education. What are the details of the problem? What are their results? What solutions are proposed? All of this will be covered in the following pages with some details.

Keywords: Listening skill, verbal interaction and production, problems and solutions

*Düzce Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

المبحث الأول: الخلفية النظرية (مقدمة وتوطئة):

أهمية الاستماع:

الاستماع مهارة لدى الكائنات البشرية تعمل على عمليات عقلية معقدة، وتأتي أهميته في كونه

[1] الوسيلة التي اتصل بها الإنسان في مراحل حياته الأولى بالآخرين، فعن طريقه يكتسب المفردات، ويتعلم أنماط الجمل والتراكيب، ويتلقى الأفكار والمفاهيم، وعن طريقه أيضًا يكتسب المهارات الأخرى للغة؛ كلامًا وقراءةً وكتابةً.

ويمكن تلخيص أهمية الاستماع بما يأتي:

1. للاستماع أهمية كبرى في حفظ القرآن الكريم.
2. للاستماع أهمية في حفظ الحديث النبوي الشريف قبل كتابته.
3. الاستماع ركن أساسي في تحصيل الطالب وتنمية مهاراته.
4. مهارة الاستماع مهارة مهمة لفهم المتحدث؛ لأن المستمع يستثمر كل جوارحه فيصغي بعينيه وقلبه.
5. وسيلة فعالة في مساعدة الأفراد والجماعات على الفهم المتبادل، ومساعدتهم على حل مشكلاتهم. 2 نـ
6. طريقة مجدية لاكتساب المعلومات والمعرفة والثقافة بكل أنواعها.
7. يعد عماد كثير من المواقف التي تستدعي الإصغاء والانتباه؛ كالمناقشات والأحاديث وسرد القصص وبرامج الإذاعة وغيرها.
8. يعمل الاستماع على تدريب الأفراد على حسن الإصغاء، وحصر الذهن، ومتابعة المتكلم، وسرعة الفهم.
9. تعد عملية الاستماع المقدمة الطبيعية لمعظم العمليات الفكرية الموجهة للسلوك البشري.[2]
10. كما أن للاستماع دورًا مهمًا ورئيسيًا في تعليم فاقدي البصر، فعن طريق الاستماع للعلوم المختلفة أصبحوا قادرين على التعلم مثلهم مثل الأسوياء.[3]

ما الهدف من الاستماع؟ (الفرق بين السماع والاستماع):

قبل تحديد الغرض من الاستماع وجب التفريق بين السماع والاستماع، حيث اختلافُ المبنى يختلف المعنى، فلو أننا عرّفنا السمع بأنه: (عملية فيزيولوجية فطرية تولد مع الإنسان، تتجسد في أنشطة حسية جسدية تقوم فيها الروابط السمعية بنقل المعلومات

[1] المرجع في تعليم العربية د. رشدي طعيمة 2/415_416.

[2] https://rashhatulaqlam.wordpress.com

[3] تعلم فن الاستماع، د. أحمد فخري هاني 179.

إلى المخ عن طريق الأذن)[4] لسوف نجد فرقًا بينه وبين الاستماع كما عرفناه بعبارة أخرى: (مهارة تكتسب بالدربة والمراس، تروم عملية التفسير والفهم واقتباس معنى ما من المسموع)، وعليه سنلاحظ أن الأغراض تختلف بين السماع والاستماع.

وسنأتي إلى تعاريف لغوية واصطلاحية بتفصيل أكثر تحت عنوان مصطلحات الدراسة.

فالهدف من الاستماع يتلخص في:

- الفهم
- الإدراك.
- تذكر المعنى.
- استقبال الأفكار.
- تحديد الأفكار.
- تحليل الأفكار.
- الاستجابة للكلام المسموع.
- الربط بين صوت الكلمة ودلالتها.

الاستماع لدى متعلم اللغة الثانية:

هل يمكن لمتعلم اللغة الثانية سواء اللغة العربية أم غيرها أن تتحقق لديه عملية التعلم من دون توظيف مهارة الاستماع في العملية التعليمية؟

إن الاستماع يأتي في أساسيات اكتساب اللغة الثانية وتعلُّمها، فمهارة الاستماع مهارة استقبالية، ولكي يستطيع المتعلم أن ينتج لابد له من أن يستقبل، فيبدأ بالاستماع ومنه إلى التحليل والإدراك والفهم ...إلخ حتى يستطيع أن يصل إلى مرحلة إنتاج الكلام والمحادثة (التفاعل الشفوي)، فهل بعد ذلك من يقدّم مهارةً على مهارة الاستماع؟

الأمر مشابه تمامًا للأطفال الصغار الذين يبدؤون الكلام في أعمار السنة والسنتين، يبدؤون السماع ومنه إلى الاستماع، ثم الكلام حينما تكون أعضاء النطق قد اكتملت عندهم، وأصبح لديهم كمٌّ محدد من المفردات والجمل يكون في مقدورهم من خلاله أن يتواصلوا مع الآخرين المحيطين بهم، ويعبرون به عن حاجاتهم.

[4] مناهج تدريس مهارة الاستماع بين النظرية والتطبيق، د. محمد بو نجمة 1.

هكذا تكون البداية؛ لم ألجأ إلى كلام الباحثين في الانتهاء إلى هذا الطرح، وإنما من خلال التجربة الشخصية على عينة من طلاب إحدى الجامعات من كلية الإلهيات ممن يتعلمون اللغة العربية لغةً ثانيةً، وسأتناول في المبحث االآتي تحليل نتائج التفاعل الشفوي والإنتاج الشفوي، ثم النتيجة التي تنتهي إليها الدراسة.

المبحث الثاني: (أساسيات الدراسة):

مشكلة الدراسة:

يعاني بعض متعلمي اللغة الثانية صعوبةً في فهم المسموع في عملية التعلم، وقد حاولتُ في هذه الدراسة تحديدَ أسباب هذه المشكلة؛ ومن خلال تحديد أسبابها سيتم إيجاد بعض الحلول والمقترحات التي تساعدهم على تحسين الاستيعاب والقدرة على التفاعل الشفوي والإنتاج الشفوي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة من خلال الوقوف على مشكلات الطلاب في صعوبة فهم المسموع إلى تقديم بعض الحلول والمقترحات، وتطبيقها على أفراد العينة المقترحة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول جانبًا مهمًا من جوانب عملية تعليم اللغة الثانية وتعلمها، حيث تتناول أسباب المشكلة المتمثلة (بعدم القدرة على فهم المسموع) وتحاول أن تُوجِد الحلول الملائمة والمناسبة للمتعلمين في كليات الإلهيات التركية، وذلك بما يتناسب مع مستوى المتعلمين وقدرتهم وأعمارهم، تُدعم بالأمثلة التطبيقية لفهم أبعاد المشكلة نظريًا وعمليًا، ومحاولة تلافيها.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: 2016_ 2017.

الحدود المكانية: (**Düzce Üniversitesi – İlahiyat Fakültesi**) جامعة دوزجة/ كلية الإلهيات.

الحدود الموضوعية: مهارة الاستماع (الاستيعاب_ التفاعل الشفوي_ الإنتاج الشفوي) المشكلات والحلول.

أسئلة الدراسة:

ستجيب الدراسة عن هذه الأسئلة الآتية من خلال التطبيق على تلك العينة من طلاب الجامعة:

1. كيف تتم عملية الاستماع داخل القاعة الدراسية؟

2. ما مدى فهم المتعلم للكلام المسموع في مستوى من المستويات؟
3. ما نقاط الصعوبة التي يعانيها المتعلم؟
   - الصوت.
   - عدم التأني في الكلام المسموع.
   - فهم المحتوى.
4. متى يستطيع المتعلم أن يصل إلى مستوى فهم الكلام المسموع والإنتاج الشفوي؟

مصطلحات الدراسة:

1. **السمع**: ويسمى أيضًا السماع؛ وهو لغةً حس الأذن[5] واستقبال ذبذبات صوتية من مصدر معين من دون إعارتها انتباهًا مقصودًا.[6]
2. **الاستماع**: لغة الفهم؛ (سمعتُ كلامه أي فهمته)[7] وهي مهارة أعقد من السماع، وعملية يعطي فيها المستمع اهتمامًا خاصًا مقصودًا لما تتلقاه أذنه من أصوات.[8]
3. **الإنصات**: هو تركيز الانتباه على ما يسمعه الإنسان من أجل هدف محدد أو غرض يريد تحقيقه،[9] والإنصات هو أحسن طريقة للاستماع الجيد بحسب ما جاء على لسان فيغارو.[10]

ويتجلى ذلك واضحًا في قوله تعالى: **{وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون}** الأعراف 7: 204 حيث جمع بين الاستماع والإنصات، ويقصد بذلك الاهتمام والتركيز خلافًا للسماع.

4. **المهارة**: هي القدرة على أداء عمل معين بإتقان، أو هي أداء بدني وذهني يؤدَّى على مستوى عال من الإتقان.[11]
5. **التفاعل الشفوي والإنتاج الشفوي**: يعد كل من الاستقبال والإنتاج (سواء أكان شفهيًّا أم تحريريًا) بمنزلة عمليات أولية، لأن كلاً منهما يشكل أهمية في أثناء عملية التفاعل، ويتم التفاعل الشفوي أو التحريري بين شخصين على

[5] لسان العرب ابن منظور مادة سمع.

[6] المرجع في تعليم العربية د. رشدي طعيمة 418.

[7] تعلم فن الاستماع د. أحمد فخري هاني 178.

[8] المرجع في تعليم العربية د. رشدي طعيمة 419.

[9] المرجع نفسه 419.

[10] مهارة الاستماع وتعليم العربية للناطقين بغيرها، سمير جعفر 150.

[11] الأداءات الكتابية ودورها في تنمية المهارات اللغوية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، دراسة لسانية ميدانية، أطروحة دكتوراه مقدمة من مصطفى ابن عطية 31.

الأقل، حيث يتبادل كل منهما دور المنتج أو المتلقي، ولذلك يتمتع هذا التفاعل بأهمية كبرى سواء أكان ذلك في الاستخدام العام للغة أم في دراستها؛ وذلك لأنه يؤدي دورًا رئيسيًا في الاتصال بين الأفراد.[12]

عينة الدراسة:

مجموعة من طلاب جامعة دوزجة كلية الإلهيات (**Düzce Üniversitesi – İlahiyat Fakültesi**) يصل عددهم إلى ثلاثين طالباً.

أدوات الدراسة:

اقتصرت الدراسة على أداتي الملاحظة وطرح الأسئلة، فكانت الأداة الأولى من خلال تسجيل بعض الملاحظات حول المتعلمين، ملحقة ببعض الأسئلة الموجهة من قِبل الباحثة إلى العينة المقترحة من المتعلمين، وقد تم تحليل الأسئلة والإجابات المختلفة عنها، وبناء عليها أُعِدّت الدراسة.

كيف تتم عملية الاستماع داخل القاعة الدرسية؟

سؤال تحتاج الإجابة عنه إلى البحث بين الأدوات المتاحة لدى المتعلم سواء أكان داخل القاعة الدرسية أم خارجها، والبحث في الإجراء المستَخدم في تطبيق درس الاستماع، كيف ذلك؟

إنّ هناك فرقًا كبيرًا في دروس الاستماع داخل القاعة الدرسية وخارجها، فهناك منهج محدد في الكتاب المقرر وما يلحقه من تدريبات على مهارة الاستماع، تناسب عدد الساعات الدرسية المقررة في السنة الدراسية، لكن إذا أتينا إلى الاستماع خارج القاعة الدرسية فسيكون الأمر مختلفًا؛ ربما يقابل الطالب شخصًا متكلّمًا باللغة العربية يجري بينهما تفاعلٌ شفويٌ[13]، أو ربما يجتهد المتعلم في تطوير نفسه من خلال الاستماع إلى اللغة العربية عن طريق متابعة نشرات الأخبار أو المسلسلات، أو الاستماع إلى التسجيلات الصوتية لبعض القصص باللغة العربية، إن تلك النشاطات الخارجية من الصعب أن يتسع لها الوقت داخل القاعة الدرسية في مجتمع البحث على الأقل، ويمكننا أن نقيس على ذلك المجتمع لو عرفنا أن أنظمة الجامعات متشابهة تشابهاً ما في تقسيم عدد ساعات التعليم ومدتها.

إنّ تنفيذ درس الاستماع مؤطرٌ بوقت محدد ينفَّذ فيه، ويتم تكرار المقاطع الصوتية بحسب طول مدتها، فعلى سبيل المثال المقطع الصوتي الذي مدته أربعون ثانية يمكن أن يكرر أكثر من خمس مرات في الدرس الواحد، مع العلم أن هناك مَن حدّد تكرار

[12] الإطار المرجعي الأوربي المشترك للغات 26.

[13] هذا متاح وبسهولة في الجامعات التركية بسبب وجود عدد لا بأس به من الطلاب العرب يدرسون في تلك الجامعات.

المقطع الصوتي في عملية تعليم اللغة الأجنبية بثلاث مرات على الأكثر،[14] ومن خلال التجارب واستشارة المؤسسات التعليمية، أفادت بعض الآراء بأنه يمكن للمقطع الصوتي أن يُكرَّر قدر ما شاء المعلم أو المتعلم حتى يصلا إلى النتيجة المرجوة من الدرس، أما المقاطع الصوتية التي تزيد مدتها على دقيقة أو أكثر ربما يصعب تكرارها كما لو كانت أقل، فما الحل؟ الحل بالواجبات المنزلية خارج القاعة الدرسية، والنشاطات الخارجية.

أمَّا عن طريقة الاستماع (الطريقة المتّبعة في الدرس) فبعض الدروس لا تزال تجري على الطرائق التقليدية باستخدام الأقراص الصوتية (CD) وبعضها أصبحت أكثر تطورًا، تكون باستخدام تقنيات حديثة متاحة لدى جميع المتعلمين عن طريق الهواتف النقالة وما شابه.

مراحل عملية الاستماع:

وبناء على ما سبق؛ قُسِّمتْ عملية تدريس الاستماع للناطقين بغير العربية إلى مجموعة من المراحل الأساسية[15]، يُجمع على تطبيقها المدرسون:

المرحلة الأولى: قبل الاستماع، تحتاج مهارة الاستماع من طالب اللغة العربية إلى قدرة لغوية عالية، الأمر الذي نحتاج فيه إلى استعدادات قوية قبل الانتقال إلى مرحلة الاستماع لشريط فديو أو إلى شريط سمعي.

تتجلى تلك الاستعدادات في تقوية معجم الطالب اللغوي عن طريق تمارين معينة، إضافة إلى تفعيلها في حوار تواصلي يرتبط بموضوع الشريط المستهدف، كما يمكن الاعتماد على نص قرائي لتثبيت مفردات الطالب من خلال توظيفها في سياق حقيقي.

المرحلة الثانية: في أثناء الاستماع، بعد التثبُّت أن الطالب قد تمكن من المفردات الأساسية من خلال استعمالها بنجاح في سياقاتها المناسبة، يمكن الانتقال إلى مرحلة الاستماع الذي يتوزع على ثلاث خطوات هي:

1) **الاستماع الأول:** يُرجى منه أن يتوصل الطالب إلى نقطة أو نقطتين أساسيتين من أفكار الشريط، تكون بداية فتح حوار نقاش أولي.
2) **الاستماع الثاني:** يُنقل فيه إلى الإجابة عن مجموعة معينة من الأسئلة التي تختلف طريقة طرحها باختلاف الأهداف.
3) **الاستماع الثالث:** يتم التثبُّت من دقة فهم الطالب لمحتوى الشريط، وتغطية ما فاته من تفاصيل صغيرة.

[14] تجربة تدريس كتاب (face to face) للناطقين بغير اللغة الإنجليزية.

[15] مهارة الاستماع وتعليم العربية للناطقين بغيرها، سمير جعفر 151_152.

المرحلة الثالثة: بعد الاستماع: أهم ما يمكن القيام به في هذه المرحلة هو استثمار موضوع الشريط في أنشطة لاحقة، ككتابة مقال قصير عن آراء الطالب في الأفكار المدروسة، موظِّفين في ذلك المعجمَ الجديد.

ما مدى فهم المتعلم للكلام المسموع في مستوى من المستويات؟

تتبين الإجابة عن هذا السؤال من خلال امتحانات المحادثة والاستماع التي تُجرى للمتعلم، قبل الإجابة يُطرح السؤال الآتي:

هل التسجيلات الصوتية على درجة جيدة من الإتقان بحيث تؤدي دورها الفعّال في عملية التعلم؟

إن السلاسل التعليمية تُلحق بتسجيلات صوتية مسجلة بأصوات بشرية بعضها يتميز بالجودة وهنا لا مشكلة عندنا، لكن بعضها يتميز بالرداءة؛ ويتجلى ذلك في النقاط الآتية:

- عدم نقاوة الصوت نقاءً تامًّا؛ بحيث يصعب على المتعلم فهم المسموع والفصل بين الكلمات وتمييز معانيها.
- عدم مراعاة مستوى المتعلم من حيث سرعةُ المقطع الصوتي وبُطؤه، فهذا يتطلب دراسة وعملًا أكثر في بعض السلاسل التعليمية.
- تأدية صوت شخص واحد لشخصيتين مختلفتين في مقطع واحد؛ إذْ يؤدي إلى لَبْس في فهم المعنى لدى المتعلم، وصعوبة التمييز بين طرفي المحادثة.
- تشابه أصوات مؤدي الأدوار الصوتية، وعدم الحرص على تبيانها، فيؤدي ذلك إلى الفهم الخاطئ للمعنى، وعدم الوصول إلى نتائج جيدة من درس الاستماع.
- وجود بعض المؤثرات التي تشوش على الصوت الأصلي وتؤثر في عملية الفهم عند المتعلم.
- أخيرًا سوء التقنيات المستخدمة في بعض القاعات الدرسية.

بناء على تلك النقاط يتبين لناكم في استطاعة المتعلم أن يفهم من درس الاستماع بنسبة معينة، وكم ستعلو تلك النسبة فيما لو تلافينا تلك الثغرات في درس الاستماع.

ما نقاط الصعوبة التي يعانيها المتعلم؟

- **الصوت:** أشرنا إلى ذلك في الفقرة السابقة، فسلامة الصوت من أهم الشروط التي تحقق لدرس الاستماع النجاح والنتائج العالية، وبعد شرط سلامة الصوت تأتي بقية الشروط.

وفي عملية تدريس الاستماع لدينا من الأدوات أشرطة التسجيل الصوتي الذي يكون مع مصاحبات الكتاب في السلسلة الدراسية المحددة، ويقصد بشريط التسجيل الصوتي:[16] الشريط المصاحب لكتاب مدرسي والذي تسجل عليه مادة لغوية يتطلب استماع الطالب لها، تدريبًا له على اكتساب مهارات معينة، وتختلف أزمان شرائط التسجيل هذه، وتتراوح بين 15_30 دقيقة.

ومن أهداف تلك التسجيلات: [17]

1. تقديم نماذج للأداء الصوتي الحقيقي للناطقين بالعربية.
2. مساعدة المتعلم على أداء التدريبات الصوتية ما كان منها تعرفًا أو تمييزًا أو تجريدًا صوتيًا.
3. مساعدة المعلمين غير الناطقين بالعربية على تدريس الجوانب الصوتية خاصة إذا كانوا ممن يواجهون مشكلات صوتية معينة بسبب الاختلاف بين النظام الصوتي للغتهم الأولى والنظام الصوتي للعربية، أو بسبب مشكلات فيزيولوجية خاصة بهم، فمثل هؤلاء المعلمين لا يوصى لهم بتدريس الجوانب الصوتية في دروس تعليم العربية إلا بالاستعانة بمثل هذا الشريط أو بالاستعانة بأحد الناطقين بالعربية على أنه نموذج يمكن تقليده.
4. تقديم الأسئلة اللازمة للإجابات الواردة في الكتاب المدرسي لتدريبات فهم المسموع، وكذلك تقديم الإجابات اللازمة لأسئلة التدريبات الصوتية.
5. تمكين الطالب من استذكار الجوانب الصوتية في بيته من دون انتظار حصص الصوتيات في برنامج تعليم العربية.

- **عدم التأني في الكلام المسموع: (ضياع فهم الفكرة العامة في سبيل محاولة الفصل بين الكلمات)** هذا يختلف إن كان درس الاستماع في القاعة الدرسية أم خارجها، ويجب تحقيق التوازن بين العملية التعليمية ومستوى المتعلم وقدرته على الفهم؛ فلا نعرض عليه في البداية _ولا سيما في المستويات المبتدئة_ مقاطع صوتيه تتميز بالسرعة في الكلام، إذْ سيؤدي ذلك حتمًا إلى الإحباط والنفور من اللغة وربما عدم متابعة عملية التعلم؛ لأنه ربثما يستوعب معنى الجملة الأولى من النص أو الكلمة الأولى، تفوته المعاني التالية لها، ولا يفهم شيئًا مما يسمع، لكن في المقابل لا يُطلب من الطالب أن يفهم تفاصيل المقطع المسموع من أول استماع له، بل يُعطى فرصة ليكرر ويعيد من دون أن ننسى أنه يستمع للغة ليست بلغته، والأذن البشرية تحتاج إلى وقت لتألفَ اللغة الجديدة، ومع كل ذلك لا ضير في أن يستمع المتعلم إلى مقطع صوتيّ لا يُراعى فيه جانب السرعة في الكلام، كأن يكون مقطعًا من نشرة أخبار، حيث تتفاوت فيه سرعة

[16] دليل عمل في إعداد المواد التعلينية د. رشدي طعيمة 317.

[17] المرجع نفسه 317.

مقدمي النشرة في الكلام، وأقول ذلك لأن الهدف من تعلم اللغة أصلًا هو فهم المسموع وإنتاج الكلام والتفاعل الشفوي بين المتكلم والمستمع.[18]

- **فهم المحتوى**: بمعنى آخر هل المقطع الصوتي يحوي الكلمات الجديدة التي تعلمها الطالب بقدر كاف لفهم المحتوى أوْ لا؟ هل تزيد الكلمات الجديدة التي يصعب على المتعلم بوساطتها فهم الفكرة العامة للنص مثلًا؟ كل ذلك يجب أن يُراعى، فلا زيادة في الكلمات زيادةً تسيء إلى فهم النص، ولا نقصًا فيها نقصًا يؤدي إلى عدم تطور فهم المتعلم ورفع مستواه اللغوي.

ويزيد عليها رشدي طعيمة اللغة والتدريبات والإخراج،[19] حيث يطرح بعض النقاط التي تحتاج إلى جهد وعمل لتنفيذها، وتلافي الأخطاء الناتجة عن إهمالها؛ كطرحه السؤال الآتي:

1. هل يشتمل التسجيل على تدريبات معينة؟
2. ما مدى وضوح الهدف من كل تدريب من التدريبات الصوتية المسجلة على الشريط؟[20]

وغير ذلك من التساؤلات التي يجب على المؤسسات التعليمية ومصممي المناهج الالتزام بها مستأنسين إلى التجارب التي قام بها مؤلف الكتاب، حتى يصلوا إلى النتائج الجيدة.

بعض النماذج:

وبهذا الصدد نطرح بعض النماذج التي يعانيها الطلاب (على أنها مشكلة في عملية التعلم والاستيعاب والإنتاج الشفوي) وطريقة تلافيها:

وقد طُرح السؤال الآتي:

1. **كم عدد أيام الأسبوع؟**
   a. **خمسة أيام.**
   b. **ستة أيام.**
   c. **سبعة أيام.**
   d. **سبعون أيام.**

[18] راجع مراحل عملية الاستماع في الصفحات السابقة.

[19] دليل عمل في إعداد المواد التعليمية د. رشدي طعيمة 219.

[20] المرجع نفسه 222.

إن سؤالًا كهذا يشتت الطالب في اختيار الإجابة الصحيحة، فسوف يفكر أولًا في عدد أيام الأسبوع، ثم سيفكر في طريقة صياغة المعدود بعد ألفاظ العقود، ثم سيفكر في القواعد النحوية، وحيث يرى ويستمع إلى تكرار صيغة رقم سبعة، ذلك كله سيُدخله في سوء فهم للسؤال المطروح، ولذلك احتراسًا من هذا الشتات والفوضى لنستبدل بصيغة السؤال تلك الصيغة الآتية:

كم عدد أيام الأسبوع؟

a. خمسة أيام.
b. ستة أيام.
c. سبعة أيام.
d. ثمانية أيام.

فتركيز السؤال على محور واحد هو المقصد من السؤال لفهم فكرته الأساسية أيًّا كانت، ثم تأتي محفوظات المتعلم، هل يدرس اللغة فحسب أو يربطها بالثقافة؟ هل يركز على مقصود السؤال أو أنه لا يعي شيئًا مما يسمع؟ تلك هي الأهداف من أسئلة الاستماع وتدريباته.

أما القاعدة النحوية فليكن لها سؤال على حدة، وسؤال الصيغ اللفظية ليكن في سؤال آخر، وعلى ذلك النحو تتم الأمور، كهذه الطريقة مثلًا:

كم عدد أيام الأسبوع؟

a. سبعة أيام.
b. سبعة يومٍ.
c. سبعة يومًا.
d. سبعة يومين.

نموذج آخر مما يؤدي إلى عملية الفهم الخاطئ عند المتعلم:

2. ..... يعمل والدك؟

a. هل.
b. ماذا.
c. لماذا.
d. كيف.

نلاحظ اتفاق إجابات السؤال في المعنى الاستفهامي، ونجدها كلها مناسبة لتكون إجابة صحيحة، وسيظن الطالب أن هذا السؤال غامض على رغم وضوحه، إنّ ما سبب له الغموض هو صيغة السؤال نفسها، ولو أعدنا صيغة السؤال وفق ما يأتي لكان أفضل:

..... يعمل والدك؟

a. هل.
b. لكن.
c. إن.
d. لا.

فالسؤال يحوي إشارة الاستفهام، ولا بد لنا من اختيار إجابات تمنع اللبس على الطالب، وتعينه على التفكير واختيار الإجابة الصحيحة، كأن نضع له أدوات مختلفة وواحدة منها خاصة بالاستفهام، كما طرحنا في المثال السابق.

وهناك السؤال الآتي:

3. كيف تأتي إلى الجامعة؟

a. بالطائرة.
b. بالجمل.
c. بالسفينة.
d. بالحافلة.

إن هذا السؤال لا يراعي بيئة المتعلمين في ظل كثرة وسائل النقل المتاحة؛ لأن هناك عددًا من الطلاب مَن يذهب حقاً إلى الجامعة بالسفينة، حيث يسكن عند ساحل البحر، وتقع جامعته في الطرف المقابل للبحر، ثم إنه لا يستخدم حافلة أو سيارة، حتى بعض الطلاب من الذين جاؤوا من بلاد أخرى لدراسة اللغة العربية في الجامعة فهموا هذا السؤال فهماً خاطئاً واختاروا كلمة (الطائرة) على أنها إجابة صحيحة للسؤال في ظنهم، وفي هذا المقام لا نخير الطالب بين الصواب والأصوب، بل نطلب منه إجابة محددة وحيدة، إضافة إلى ذلك الخطأ هناك خطأ آخر في استعمال فعل **المجيء** إلى الجامعة، فالأصوب أن نقول (كيف تذهب) بدلًا من (كيف تأتي) فحتى يكون سؤالًا نموذجيًا يجب أن تكون إجابته محددةً بحيث لا يقبل العقل والمنطق غيرها.

وعليه نستبدل بصيغة هذا السؤال الصيغة الآتية:

كيف تذهب إلى الجامعة؟

a. بالحافلة.

b. بالكأس.

c. بالجمل.

d. بالقلم.

لنر النموذج الأخير:

4. أريد بنطالًا جديدًا، ما مقاسك؟

a. مقاسك متوسط.

b. مقاسي كبيرة.

c. مقاسها كبير.

d. مقاسي صغير.

الخلط واضح في هذا السؤال في أكثر من محور، محور التذكير والتأنيث (مقاسي كبيرة) ومحور استخدام ضمير المتكلم والمخاطب، وهذا لا يمكن أن يصحَّ في سؤال واحد، فضلًا عن أنّ صيغة السؤال ليس فيها إشارة واضحة إلى أنه حوار بين شخصين، ويكون تلافي هذا الخلط بالصيغ الآتية:

1. المشتري: أريد بنطالًا جديدًا.

البائع: ما مقاسك؟

a. مقاسي متوسط.

b. مقاسي جميل.

c. مقاسي جيد.

d. مقاسي رائع.

أو ليكن بالصيغة الآتية:

2. المشتري: أريد بنطالًا جديدًا.

البائع: ما مقاسك؟

a. مقاسي كبير.

b. مقاسه كبير.

c. مقاسكَ كبير.

d. مقاسها كبير.

ويمكن أيضًا بالصيغة الآتية:

3. المشتري: أريد بنطالًا جديدًا.

البائع: ما مقاسك؟

a. مقاسي كبير.

b. مقاسي كبيرة.

c. مقاسي أكبر.

d. مقاسي كبار.

إن سؤالًا واحدًا كهذا يحمل محاور عديدة يمكن أن تُقَسّمَ في عدة أسئلة، لكل محور منها سؤال واحد كما بيَّنّا في الأمثلة السابقة، فجمع عدة محاور في سؤال واحد خطأ كبير يؤدي إلى نتائج سيئة، وينحى عن الهدف المطلوب.

وعلى هذه النماذج يمكن لنا القياس، ولا ضير لو قمنا بإعداد بنك لأسئلة الاستماع يعتمد عليها الطالب نموذجاً يأنس إليه.

شروط الاستماع، أو آداب الاستماع:

وبناء على ما سبق، نجد بعض الباحثين من وضع شروطًا للاستماع الجيد، وبعضهم يسميها آدابًا للاستماع، ملخصة وفق الآتي:

1. **الاستعداد الذهني والنفسي قبل الاستماع:** ويتطلب الاستعداد تجاوبًا جسديًا من المستمع، وذلك بسكون أعضائة وجوارحه، فلا ينشغل قلبه عما يسمع.
2. **عدم الانشغال عن الاستماع في أثناء القراءة:** كأن ينظر إلى ما حوله، أو يمسك بكتاب أو نحوه، مما يصرفه عن الاستماع الجيد.

3. **التفكر في أثناء الاستماع:** مما يحدث التفاعل القلبي والجسمي مع المادة المسموعة.[21]

متى يستطيع المتعلم أن يصل إلى مستوى فهم الكلام المسموع والإنتاج الشفوي؟

إن مهارتي الكلام والاستماع هما أولى المهارات، وبقدر الحاجة إلى مهارة الكلام تكون الحاجة إلى مهارة الاستماع، فالكلام هو الفن الثاني من فنون اللغة بعد الاستماع،[22] وهذا يعني تقديم مهارة الاستماع على سائر المهارات، أما عن طريقة إتقان تلك المهارة فلن يكون ذلك بحضور دروس اللغة فحسب، وإنما يأتي باجتهادات شخصية من المتعلم، كل بحسب مقدرته واستطاعته، ففي المستويات المبتدئة يكون المتعلم هو محور العملية التعليمية كلها، وكل أدوات التعليم لسد حاجاته من تعلم اللغة، لكن في المستويات المتقدمة يمكننا أن نكتفي بتقديم المفاتيح للمتعلم وفتح الطرق أمامه ليطور نفسه وأدواته التعليمية ويرفع من مستواه بنفسه.

لنعد إلى ما سبق ونركز على المحادثة والاستماع، لماذا نشاهد تباينًا بين طلاب المرحلة الواحدة المتفقين في المستوى والعمر؟ ولماذا تختلف نتائج أدائهم اختلافًا كبيرًا ليس في الامتحانات فحسب وإنما في الحياة العملية؟ الجواب لأنّ الاجتهادات الشخصية أيضًا تتباين وتتفاوت بين متعلم وآخر، فليس هناك مرحلة معينة نستطيع أن نحددها ونقول للمتعلمين في هذه المرحلة سيكون في استطاعتكم فهم كل شيء مالم يكن هناك عمل واجتهاد من المتعلم نفسه، في هذا الوقت كل شيء متاح ويبقى الجهد والاجتهاد.

لكن بصورة تقريبية لو عدنا إلى الإطار المرجعي الأوربي لوجدنا لكل مستوى من المستويات التعليمية الرئيسية (المبتدئ والمتوسط والأعلى) ما يستطيع المتعلم أن ينتجه ويستقبله، أي ما يستطيع أن يتكلم وما يستطيع أن يفهم من الكلام إذا ما تابع العملية التعليمية متابعة متسلسلة، وأحاط بالمنهج المحدد من جميع جوانبه، وعلاوة على ذلك حُددتْ عناصر مهارة الاستماع بأربعة عناصر مرتبةً وفق الآتي:[23]

1) فهم المعنى الإجمالي.
2) التفسير الكامل والتفاعل معه.
3) تقويم الكلام ونقده.
4) تكامل خبرات المتكلم والمستمع.

الخاتمة:

[21] A computerized program for the development of some of the listening teaching skills in the Arabic language students teachers at the University College Of Applied Sciences 25 إعداد هناء خمبس أبو دية، أطروحة لنيل درجة الماجستير.

[22] مهارة الكلام أهميتها وكيفية تدريسها، بقلم علي موسى لوبس 2.

[23] مهارة الاستماع والكلام (دراسة علم اللغة الفسي) دوني أحمد رمضان 4.

إنّ عملية الاستماع هي من أولى الشروط للوصول إلى مرحلة التفاعل الشفوي والإنتاج الشفوي، كيف لا يكون ذلك ونحن نجد الأطفال الصغار قد بدؤوا بالتكلم بلغتهم الأم من دون قاعة درسية، ومن دون معلم، ومن دون منهج أو كتاب تعليمي، إذْ لم يكن ذلك إلا من خلال الاستماع، ومع ذلك لا نغفل المهارات الأخرى؛ فبتكاملها معًا يستطيع المتعلم أن يستوعب اللغة وينتجها ويتفاعل مع الآخرين.

بهذه الأسئلة الأربعة حاولتُ أن أوصّف واقع درس الاستماع من خلال التطبيق العملي في مجتمع البحث، وأن أحدد بعض المشكلات التي يعانيها الطلاب، والتي هي جزء من عنوان هذه الدراسة، مع الاجتهاد في وضع بعض المقترحات التي تساعد على تجاوز هذه العقبات وحلها، والخروج بنتائج أفضل.

اقتراحات وتوصيات:

في ضوء أسباب هذه الدراسة وما ترتب من نتائجها اجتهدتُ في ذكر المقترحات الآتية، التي من الممكن من خلالها تجاوز تلك المشكلات وتلبية حاجات المتعلمين:

1. اختيار معلمين ذوي كفاءات عالية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في جميع المهارات عامة، وفي تدريس مهارة الاستماع على وجه الخصوص، يتمتع واحدهم بشخصية المدرّس التي تساعده على أن يؤدي دوره على أحسن وجه.
2. على معلم اللغة العربية أن يكون على وعي تام بمستوى طلابه في مهارتي المحادثة والاستماع، وأن يقدم لهم ما يفيدهم ويلبي حاجاتهم اللغوية والعلمية ضمن هاتين المهارتين على وجه الخصوص.
3. انتقاء المناهج التعليمية الأكثر تطورًا، والتي لاقت القبول والرواج في الجامعات التركية أو غيرها.
4. التركيز على محور واحد في تدريبات الاستماع (لغوي، لفظي، ثقافي ....إلخ) فلا نضع في تدريب واحد محورين مختلفين، حتى لا يتشتت الطالب ويضيع بين الإجابات.
5. الاهتمام بدرس الاستماع على أنها مهارة على حدة، من دون دمجه بمهارة أخرى دمجاً يحول دون تحقيق أهداف درس الاستماع.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (مصدر).

لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف (مصدر).

الإطار المرجعي الأوربي المشترك للغات: دراسة، تدريس، تقييم، ترجمه إلى العربية د. علا عادل عبد الجواد، د. ضياء الدين زاهر، ماجدة مدكور، نهلة توفيق.

الأداءات الكتابية ودورها في تنمية المهارات اللغوية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، دراسة لسانية ميدانية، أطروحة دكتوراه مقدمة من مصطفى بن عطية، جامعة محمد لمين دباغين_ سطيف2 الجزائر، 2015_2016.

دليل عمل في إعداد المواد التعليمية لبرامج تعليم العربية، د. رشدي أحمد طعيمة، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية 1406هـ_ 1985م.

المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، د. رشدي أحمد طعيمة، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية.

مهارة الاستماع والكلام (دراسة علم اللغة النفسي) بحث مقدم في قسم اللغة العربية بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج.

A computerized program for the development of some of the listening teaching skills in the Arabic language students teachers at the University College Of Applied Sciences إعداد هناء خميس أبو دية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية في غزة كلية التربية، لم أقع على عنوانها باللغة العربية 2009م_ 1430هـ.

الملاحق:

شبكة الإنترنت.

مقالة بعنوان (**تعلم فن الاستماع**) د. أحمد فخري هاني، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 24_ خريف 2009م.

مقالة بعنوان (**مناهج تدريس مهارة الاستماع بين النظرية والتطبيق**) د. محمد بو نجمة، جامعة الأخوين إفران المغرب.

مقالة بعنوان (**مهارة الاستماع وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها**) سمير جعفر، مجلة علوم التربية، العدد 56.

مقالة بعنوان (**مهارة الكلام أهميتها وكيفية تدريسها**) بقلم علي موسى لوبس، AL-BARO AH VOL.3 TAHUN 2012